مضمون العَدّودة في محافظة الشرقية

الباحث: أحمد محسن عبد الحميد خليل أبو الفضل

جامعة قناة السويس بالإسماعيلية

كلية الآداب و العلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية

- **الملخص:**

فن العديد هو ممارسة هامة وشعبية يتم ممارسته في ربوع مصر، وهو من الصور التعبيرية الشعبية التي تصور أقسى وأشد اللجظات حزنا في دورة حياة أي إنسان، فنجد أن هذه الأغاني الشعبية الحزينة هي وجه آخر لما هو معروف في الأدب " بالمراثي الشعبية"، ولا نريد أن ننسى أن العديد ممارسة نسائية من نوع خاص؛ ورغم ما ظهر من صعوبة في إيجاد تعريف خاص بالعديد فما هو إلا أغاني جنائزية تُقال عن وجود ميت ما لرثائه، وهذه الأغاني تؤديها النساء ومنهن من كانت تمتهن مهنة العديد وتجيدها وتعبره عملا تبدع فيه ولا تخطئ وتتقاضى أجرًا على ذلك.

المراثي الشعبية هي الشكل الأدبي الأقرب للموت من حيث الجانب النظري ويقابله الجانب العملي وهو المتمثل في ما تفعله النساء من ممارسات وعادات وطقوس خاصة بالموت؛ ونجد أن نصوص العديد قد كشفت لنا عن ما تشعر به النساء من حرارة الحزن وحالة الفقد لديهن فيذهبن إلى اطلاق تعبيرات تحمل مضمونا خاصًا؛ وأن كل عدودة لها مضمونا يختلف عن غيرها؛ وهذه العدودة ترتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة التي قيلت فيها لنلاحظ ورود الفاظ وكلمات متعلقة بهذه البيئة الريفية؛ وتقوم النساء بالنظر في كل عدودة نظرة الآكل لخبزه لجعلها تناسب الميت وتتوافق مع مرحلته العُمرية ونوع جنسه ومكانته والدور الذي كان يلعبه بين أفراد أسرته وأهل قريته.

العدودة الشعبية يتم جمعها وتدوينها بطريقة ميدانية خاصة ويتم دراستها من منظور خاص أو من عدة جوانب مختلفة، ومن خلال ذلك نستطيع أن نتعرف على العادات والتقاليد والطقوس التي تستخدمها النساء عند وجود جنازة في بيت ما من بيوت المنطقة.

- الملخص باللغة الإنجليزية:

The content of the popular lament

In Al Sharkiya Governorate

The art of lament is an important and popular practice that is practiced throughout Egypt, and it is one of the popular expressive images that depict the harshest and saddest moments in the life cycle of any human being. Without forget that lament is a special kind of female practice; Despite the apparent difficulty in finding a specific definition for lament, they are nothing but funerary songs that are said about the presence of a dead person to lament, and these songs are performed by women, including those who used to practice the profession of many and are good at it, and consider it a work in which they are creative and do not make mistakes and are paid for that.

Folk elegies are the literary form closest to death in terms of the theory and the practical side, which is represented in the practices, customs and rituals that women do regarding death; We find that the texts of many have revealed to us what women feel from the heat of grief and their state of loss, so they go to express expressions that carry

a special content; And that each lament song has a different content from the others; This enumeration is closely related to the environment in which it was said. We note the occurrence of words and words related to this rural environment; The women look at each count of the view of the eater of his bread to make it fit the dead and correspond to his age, gender, position and the role he played among the members of his family and the people of his village.

The popular lament is collected and recorded in a special field method and is studied from a special perspective or from several different sides, and through this we can learn about the customs, traditions and rituals that women use when there is a funeral in a house in the region.

- المقدمة:

فن العديد أو البكائيات هو أحد أجناس التعبير في الأدب الشعبي وهو من الفنون الشفاهية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية، هو فن قديم ربما يعود إلى حقب طويلة من الأزمان، ولم يستطع باحثٌ أو دارسٌ واحد أن يحدد تاريخًا معروفًا لظهور ذلك الفن، ولكن الدارسين والباحثين مجمعون على أنه ظهر منذ بدأ الإنسان يستشعر حالة من حالات الجذع أو الفقد على ميته، ومن هنا بدأت تخرج لنا هذه المقطعات الغنائية التي تعبرعن الحالة الشعورية التي تنتاب الإنسان وقتها والمرأة تحديدًا.

العَديد جمع (عَدُّودة) وهي ما يقال عند الموت، وهو فن شعري شعبي يختص بالنساء وحدهن دون الرجال، يتم إلقاء هذا الفن في صحبة من النادبات تقودهن نادبة أو نائحة وتعرف بـ "المعددة" وهي امرأة حاملة لنصوص العديد، وتذهب متطوعة وفي بعض الأحيان تذهب مقابل

أجر مادي؛ والعديد ما هو إلا ذكر مناقب الميت وتعديد لصفاته الحسنة، ويكون هذا استجابة للشعور الخاص بفقد حبيب أو عزيز؛ والعَدُّودة هي مقطوعة شعرية، مرثية شعبية، بكائية قصيرة تتكون من عدد قليل من الشطرات أقلها شطرتان وقد تطول لتصبح أربع شطرات، وللعَدُّودة مهمة خاصة وهي تشكيل إيقاع منمتظم ومتماثل موسيقيًا وهي في سعيها لذلك تسعى لكي تحافظ وتلتزم بنظام القافية؛ فالعَدُّودة المصرية الشعبية تمتلئ بالعديد من الخصائص، مثل التكرار رغم التغيرات التي تطرأ عليها بالحذف أو الزيادة، والعَدُّودة الشعبية يختلف أسلوب عرضها أو عند قولها من بيئة إلى بيئة أخرى، وعلى ذلك يختلف أيضًا طقوس العديد ومراسم العزاء من منطقة لأخرى.

وعليه فإن العَدُّودة فن قولي يختص بمراسم الموت وتقوم النساء بتأدية عاداتهن وتقاليدهن الخاصة ورسم طقوس الموت، وهذه الطقوس تختلف من منطقة لأخرى ومن جماعة لأخرى على حسب العادات والتقاليد المتبعة في المنطقة.

- موضوع البحث:

- العَدّيد المصري بكلماته وألفاظه وعباراته كل هذا وأكثر يجعله يتمتع بأسلوب خاص؛ حيث تحمل نصوصه الكثير من العادات والتقاليد والممارسات الأصيلة، العديد هو صورة كبيرة وحية تنقل حياة المجتمع وهذا ما يميزه أنه يسجل حياة شعب ما من ناحية عقليته وفكره، ويسجل الحياة السياسية والاجتماعية لهذا الشعب، وذل هو الذي يساعدنا على دراسة شعب ما بعقليته وأسلوب ونظم حياته، ولا يجوز أن نختار سوى أدب هذا الشعب نفسه وبعد ذلك نستطيع أن نحكم على هذا الشعب بكل معايره المختلفة. [1]

العديد هو صورة كبيرة وحية تنقل حياة المجتمع وهذا ما يميزه أنه يسجل حياة شعب ما من ناحية عقليته وفكره، ويسجل الحياة السياسية والاجتماعية لهذا الشعب، وذلك هو الذي يساعدنا على دراسة شعب ما بعقليته وأسلوب ونظم حياته، ولا يجوز أن نختار سوى أدب هذا الشعب نفسه وبعد ذلك نستطيع أن نحكم على هذا الشعب بكل معايره المختلفة، وجماليات

(١) عبد الحليم حفني: المراثي الشعبي(العديد)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٢، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٢٣.[1]

العديد كثيرة هي التي تحدده وتجعل له مكانة كبيرة ومرموقة ويبقى بهيئته وما ينتج عنه فنًا لا يمكن نسيانه؛ والصيغ الجمالية كالتكرار والتقفية والتوازن الموسيقي للنصوص وما يحدث من تنوع صوتي للنغمات كل هذا من أجل التأثير في القارئ والمتلقي والعمل على إثارة عاطفته، وجمالية تلك العَدُّودة نجدها قد ولدت مكتملة وانفصلت عن أي أنواع أخرى تقليدية، ولم يحدث للعَدُّودة من انحراف نوعي إلا بعض من الانحرافات الشكلية الخاصة بـ مستوى البنية الموسيقية، وقد اختلف العديد من مؤد لآخر كل على حسب ذاكرته وطريقة أدائه مما جعل لنصوص العديد بعض من الخصائص والمميزات منها:

١) تعمل النصوص على إشباع عاطفة الحزن وتعميقه بطريقة مؤثرة جدا داخل الوجدان.

٢) تمتاز النصوص بالبساطة الشعرية من حيث بنيتها، وتشتهر بجماعية الأداء.

٣) اللفظ والمضمون يتم تكرارهما، والتكرار خاصية لا غنى عنها وهي من مميزات الأدب الشعبي.

٤) العديد بقي واستمر على ما سار عليه رغم ما تعرض له من ظروف قاسية وحروب.

٥) النصوص متنقلة من مكان لمكان ومن زمان لزمان وتتقبل جميع التغيرات التي تطرأ عليها بفعل التجارب الإنسانية والمجتمعية، فنراها تقبل الزيادة أو النقص في بعض كلماتها وألفاظها

٦) يفي العديد بغرضه الذي يهدف إليه، وهو رسم صورة مؤثرة تُلفت النظر للميت المراد تشييعه وتكون تلك الصورة لها جانب خاص من التأثير على الجميع وتجلب لهم البكاء وتبعث في نفوسهم الحزن.

٧) تُقدم لنا تلك النصوص معرفة جيدة بمجتمع ما من خلال سماته وملامحه الخاصة، وترسيخ بعض من القيم الأخلاقية بداخل هذا المجتمع.

٨) نص العَدُّودة والمناسبة التي قيلت فيها هذه العَدُّودة بينهما علاقة تأثر وتأثير، فالمناسبة هي التي ساعدت وعملت على انتاج النص، وعندما يمر الزمن يصبح للنص فعله ونستمد منه الأثر الملموس في حياة تلك الجماعة.

وبعد ما مر به العديد من عقبات وظروف وما أخرج لنا من خصائص ومميزات، لا زال واقفا في مكان بعيد يصور لنا السيدة العجوز التي تقوم بأداء هذه النصوص وهي في لباسها الأسود، تقوم بمهنتها وهي التعديد على الميت مهما كان نوعه وجنسه والحالة العمرية التي مات عليها.

فرسالة العَدّيد رسالة في غاية الأهمية من حيث ما تحويه وعلينا فهم كل كلمة ومعنى وما يشير إليه ذلك المعنى، وكل نص من نصوص العَدّيد التي بين يدينا له مضمون خاص به، ومع كثرة النصوص التي تتحدث عن موت (أب، أخ، أم، طفل)، أو غير ذلك فمضمون كل نص يختلف عن مضمون نص آخر مع وفاق الموضوع الذي يُقال فيه النص، والنص يحتوي على ذكر صفات الميت وما كان له من دور اجتماعي يلعبه ومكانة اجتماعية يتمتع بها بين أفراد أسرته وأهله، وما كان عليه من قوة وصحة في دنياه وأنه صاحب قدر ومنزلة كبيرة، فكل فقيد صغير كان أو كبير ذكر أو أنثي له صفاته ومميزاته التي تختلف عن غيره من أبناء جنسه.

عَدّيد المرحلة العُمرية للرجال

عَدّيد الأطفال:

نبدأ مع مضمون نصوص عَدّيد الأطفال، العَدّيد الذي له أسلوب خاص وكلمات وألفاظ لا تنفع لعَدّيد آخر، فهو طفل لم يبلغ مكانة ما بين أفراد أسرته، وعديده يمتلئ بحزن شديد وألم موجع والطفل لم يبلغ في حياته شيء ما يحدد الشخصية التي هو عليها وصفاته، وأيضًا وهذا ما جعل بعض من كلمات والفاظ العَدّيد التي تُقال عن الطفل كلمات صعبة ليست الصعوبة في الكلمة ذاتها ولكن الصعوبة في معنى ودلالة الكلمة، التي توحي بحزن شديد وأن غالبية عَدّيد الأطفال يتسم وله طابع مثير وحزين من التصوير العاطفي، ونذهب إلى نصوص عَدّيد الأطفال ونفتح كل ما هو مغلق حول عَدّيد الأطفال، فنرى نصًا يعبر عن الأطفال بصورة محزنة وشديدة فتقول السيدة:

نقول عليك يا عُقد مرجان يا ريت دَلالك علينا بِبان

نقول عليك يا عُقد ياقوت يا ريت دَلالك علينا بِفوت

نجد مدى التصوير الحزين للطفل حينما يُقال عن الطفل وتشبهه بانه عُقد من المرجان ذلك الحَجر الكريم الثمين الذي يكون نادرا في أن يمتلكه أحد، ويصعب على صاحبه أو مالكه التفريط فيه، فما بال أحدكم بطفل افتقدته أمه، فتقول المعَدِدة على لسان أمه، بأنه عقد آخر ولكن هذه المرة من الياقوت فهو من الأحجار الثمينة الغالية التي يصعب تركها دون عناية أو اهتمام، فهي تتمنى لشخصه المدلل أن يظهر مثل رونق وجمال تلك الأحجار الكريمة الغالية على وفي النفس.

غزالة مع الغزلان عجباني لما صادها الصيّاد وجعاني

غزالة من الغزلان عجبتني لما صادها الصيّاد وجعتني

يشير لفظ غزالة إلى أن الميت طفلة صغيرة والغزالة كما هو شائع تتمتع بحيوية ونشاط وجمال لا يوصف به أحد، وأن الطفلة تم فقدها لكل تلك الصِفات عندما حان أجلها وتم اصطيادها وتقصد أن الصّياد هو الموت الذي اصطادها، ومع ذلك فقدت الأم ابنتها الصغيرة ومات معها صفاتها وجمالها التي كانت تتمتع بهما في حياتها.

ونورد نصًا آخر فيه من الحزن والألم ما يوجع القلب، لتعبر عن الطفل بأنه عود طري سهل أن ينكسر ويلتوي، وبعدها مال على الأرض أي فقد حياته، وتصف المعددة أن الطفل في زمن قصير عبرت عنه بـ "إمبارح" دلالة على زمن قريب جدا أنه كان يلعب ويضحك وكان مع أهله، وفي لحظة قصيرة صار الطفل في ليلته تحت الأرض أي في قبره، فقد خطفه الموت من أهله فتقول السيدة:

يا عود طَري واتلوى ميل ومال ع الأرض

امبارح كان وسطنا والليلة تحت الأرض

كل هذه النصوص وأكثر تخبرنا بمدى صعوبة فراق الطفل لأمه أو أبيه، وأن الناقة ضعفت وأصبحت هزيلة وانحنت على مكان طعامها وتطلب وتريد صغيرها وفلذة كبدها، وعبرت السيدة بتعبير "ضناها" ويوحي ذلك التعبير بحنو الأم على طفلها والناقة على صغيرها، فتخبرنا السيدة بان الناقة وقعت وانحنت على الرمال وهي تحتاج إلى صغيرها وهذا موقف كبير وفيه الكثير من التشبيهات بين ناقة وصغيرها وتم التعبير بهذا للأم وصغيرها ونسمع قول أناها تريد ابنها الذي أخذه الموت وأشارت إليه بلفظ الجّزار الذي لا يقف أمامه شيء في قولها:

ناقتي إتحنت على الشونة عايزه ضناها ما عايزاش مُونة

ناقتي إتحنت على الرمال عايزه ضناها اللي خَدو الجزّار

كلمات وألفاظ حارة وموجعة تفجع القلوب، وتوحي بأسى وألم شديد لما ينتاب تلك العائلة التي يحيط بها الموت من كل جانب ويأخذ منهم فلذات اكبادهم، فهو طفل صغير رضيع الذي وافته المنيّة وهو طفل رضيع لا يدرك ولا يعرف شيء في حياته ولم تتوافر فيه صفات وشخصيات، وقد وظفت المعدِدة لفظ الضّنى مرة أخرى وقالت في نهاية البيت لفظ كِبدي، فالكبد هو عضو مهم لجسم الإنسان، كذلك ذلك الطفل الرضيع لأمه، ولكن كان يتمتع بمكانة كبيرة بين أفراد أسرته فهو كل حياتهم ولهوهم والعَسل الحلو الذي يزيل كل ما هو مُر في فم الإنسان، فالطفل هو حلوَهُم وسر سعادتهم فتقول:

يا ضنايا يا حبيب قلبي لبن الرضاعة مين ياخده يا كبدي

عَدّيد الشاب والعريس:

وبعد ذلك العَدّيد عديد الطفل بكل ما كان فيه من كلمات حارة موجعة للقلوب، نرى التقدم في العمر لنأتي بعد ذلك إلى عَدّيد الشاب والعريس الذي سيكون مقبلًا على زواج أو غيره؛ فنرى أن النصوص تتغير ويتغير معها المضمون بكلماته وألفاظه ليلائم وصف الشاب والعريس الذي كانت له مكانة اجتماعية كبيرة بين أهله ودوره الاجتماعي الذي كان يشغله لما كان عليه من صفات وسمات في حياته، حتى أتي ميعاد انتهاء أجله وفارق الحياة، ويختلف كل

نص عن غيره من النصوص ليسير مع طبيعة وصفات الميت الذي يُقال فيه هذا الكلام، نجد أن الباكية قد وجهت كلامها وعديدها لأم العريس فتقول:

أم العريس ما حد لقيها دايرة البلد تدعي مَداعيِها

أم العريس ما حد وجدها دايرة البلد تِدْعي حبايبها

بدأت قولها بأم العريس لتوجه أنظار الجميع إليها، وتخبرنا أن أمه غير موجودة، لأنها تسير في كل مكان تقول لأقاربها وأحبابها وتخبرهم أن الموت قد نال وحصل على ابنها العريس وتدعوهم مثل ما تدعي الأم لفرحة ابنها، فهي تزفه وتخبر الجميع ولكن لموته وليس لفرحه.

نلاحظ مدى التغير في المضمون والكلمات ليناسب مرحلة من العمر وهي مرحلة الشباب، يدخل الموت عليهم ليلتقط زهر الشباب وخير الأخيار فنسمع هذا القول:

دخل الجِنيّنة ونقى شَواشيها نقى الشواشي وساب الجُدور الخايبة فيها

دخل الجِنيّنة نقى شَواشي الورد نقى الشواشي وساب الجُدور في الأرض

في ذلك النص تعبيرات لا وصف لها واستعارات رائعة عندما تقول دخل الجِنينة، فهو ملك الموت كرجل دخل حديقة، فيلتقط كل ما هو صالح من الورد الجميل ويقوم بترك الفاسد لأنه لا ينفع، موقف لا تحسد عليه السيدة حينما عبرت عن خيرة الشباب بلفظة الشواشي كل ما هو نَضِر، فالموت اختار زهرة الشباب وترك الرجال كبار السن، وهذا يوافق تعبيرها بـ ساب الجدور الخايبة، فتلك الجدور هم كبار السن.

لا يزال الحديث مستمر عن الشاب والعريس وهما في مقتبل العمر لا يعرفون قسوة الفراق وطعم الموت، حتى يحين موعدهم وعند ذلك الوقت يحرموا من فرحة كانوا ينتظرونها كثيرا فتقول المعدِدة على لسان الشاب:

يا عمتي قولي لأبويا قولي لِبْس الجَواز ما جاش على طولي

يا عمتي قولي لأبويا ماله لِبْس الجَواز ما جاش على باله

حوار دار بين الشاب وعمته يتعجب من أبيه، فتخبرنا الباكية أن الشاب يتساءل أنه لم يحالفه الحظ ويفرح مثل بقية الشباب، وتعاود الباكية قولها مرة أخرى لتدل على حرمان الشاب من الزواج، وأن والد الشاب لم يخطر بباله أن يزوج ابنه، فهذا عديد شديد وحزين ابتدعته السيدة على شكل حوار لشاب يحاور عمته.

فقد الشباب فقد ما بعده فقد من حسرة وألم وحزن يسيطر على عائلة، لأنها فقدت شابا أو عريسا كانت تلك العائلة يشهدون له بالسيرة الحسنة والطبع الجميل، فنرى الشباب في مظهرهم الخاص بالملبس يكونوا كثمار ناضجة يصعب قطفها حتى لا تحزن الشجرة بفقدان ثمارها، فنورد نص آخر لعديد الشباب ونسمع المعددة وهي تقول:

يا أبو الِسديري الخط جار الخط خِسارة شبابك في التراب اتحط

يا أبو السِديري الخط جار أخوه خِسارة شبابك في التراب حطّوه

نرى في ذلك النص بالتحديد انها قامت بتمييز الشاب أنه يلبس " السديري"، ذات الخطوط الملونة وانها كانت لا تريد ذلك، وتتحسر على شبابه الذي انتهي به الموقف وهو في التراب أي دفن في قبره، فهي تقول خِسارة لمرحلة شبابك المزدهرة أن تكون نهايتها التراب، وأن دخوله القبر هي خسارة كبيرة.

يزداد العَدّيد حرارة وتزداد القلوب وجعًا، بسبب ما تفقده كل أسرة أو بلد من شاب أو عريس كانت فيه كل الصفات الحِلوة وصاحب مكانة اجتماعية كبيرة في أسرته، ولقد انتهي ما كان عليه في دنيا من طيب خاطر وسماحة نفس وجمال الروح، فنسمعها تقول:

من غيبتك قلبي عليك دايب لقياك من دون الشباب غايب

من غيبتك قلبي عليك عيان لقياك من دون الشباب عدمان

تقول السيدة على لسان الأم أن قلبها داب وضعف من غيبة ابنها، وهي لا تجده بين زهرة الشباب، ولما طال غيابه وأصبح بعيدا عنها في قبره تعبت وأصبح قلبها مريضًا، وهي تقول

أنها ترى أصدقائه الشباب لكن هو عدمان، أي أصبح لا مكانة له بينهم فقد انتهي به الحال تحت التراب وفي قبره.

عَدّيد الشباب هو من أشد العَدّيد حزنا وألما، ينتشر الحزن في القرية سريعا ويخيم فيها بالأيام والشهور، وأحيانا حينما تجتمع النساء وتبدأ المعددة بالقول يهرب الرجال بعيدا عن مجلسهم من شدة ما يسمعون من كلمات تفطر القلوب وتهتز لنا الأبدان، فهذا شاب لم يأتي له ميعاد الفرح أي لم يتزوج وكان يتزين بملابس تضفي عليه الجمال والروح الحسنة، فنسمع المعددة تقول:

يا قبر جايلك شاب خايِل في لف العِمامَة أمانة عليك يا قبر ما تحاسبه إلا يوم القيامة

جايلك شاب من ميلة الزمان مَعْطوب أمانة عليك ما يكون فيكَ حصى ولا طوب

نراها هذه المرة توجه عديدها للقبر، وتناديه لأن سيدخله شاب يليق في لِبس العِمّه، وتتمنى أن لا يحاسبه إلا يوم القيامة، فهي تخشى عليه من العذاب وتطلب منه أن ينتظر، وترجع لتقول له: أنه شاب من ميلة وهموم الزمن عليه أصبح لا يقدر على شيء، مثله مثل الفاكهة الفاسدة لا تصلح للأكل، وتعود للتمني مرة أخرى وتطلب من القبر أن يكون هينا لينا عليه ويكون خالي لا يوجد فيه حصى ولا طوب حتى لا يتأذى وهو في القبر.

عَدّيد الأخ:

لا نزال نعيش داخل أجواء من البكاء، ولكن هذا ما لا نريده إنما نريد معرفة مضمون تلك الكلمات التي لها مفاهيم ودلالات خاصة، وننتقل إلى عَدّيد أشد قسوة، العَدّيد بأكمله قسوة وحسرة وألم وفراق شديد لفقيد عزيز على أهل بيته وأهل قريته، جميع النصوص يصاحبها حزن وبكاء وصِراغ بمختلف الموضوع والمضمون الذي يتحدث عنه النص، ونذهب إلى عديد الأخ فنسمع صوت المعددة وهي تقول:

نادى الِمنادي وسمعته بودايَ من مات أخوه ما يعوضوش تاني

نادى المِنادي وسِمعته أنا بودني من مات أخوه ملوش عوض عني

ينادي الشخص الملزم بالنداء على الميت، فيسمعه أخوه بأذنه، ويتحسر أن من مات أخ له لا يعوض مرة أخرى ولا يأتي مثله، فأخيه سيعيش حياة صعبة بدون أخيه الذي كان سند له في الحياة ويقف بجانبه ويبعد عنه أي أذى يتعرض له، وتعيد وتكرر قولها مرة أخرى وتؤكد على أن فقد الأخ لا عِوض عنه.

أخويا الحنين أمشي على ضيّه وابنه وراه بس إن عَمل زيّه

الأخ بطبيعته مهما كانت قسوته وشدته فهو بقلبه طيب وحنون على أهله بيته، وما بالكم لو كانت أخته فهو سندها وضهرها أمام كل متاعب الحياة ويهون عليها شدتها، فتخبرنا أن أخاها كالقمر التي تسير على نوره، وتتمنى من ابنه أن يكون حنون وطيب القلب مثل اباه، وأنه لن يقسِ على أخوته في يوم من الأيام مثل ما كان يفعل أباه مع أخته.

حَملت الجِمال حملت أنا جَملي قالوا فين أخوكي قلت يا ندمي

حَملت الجِمال حملت أنا جِمالي قالوا فين أخوكي قلت ياما جرالي

النص السابق تقوله المعددة على لسان أخت الفقيد، فهي تشبه أخاها بجملٍ صلب وأنه كان يحمل عنها كل ما هو شاق ومتعب، وعندما فقدته ندمت وتحسرت وحزنت حزنا شديدا، وعندما سُئل عن أخاها قالت: ياما جرالي، أي حدث لي الكثير والكثير من المتاعب والمصائب.

أخويا الحنين أمشي على سِيفه وابنه وراه بس إن عَمل كيفه

هذا النص شبيه بنص سابق، ولكن اختلف النص من سيدة لأخرى، فوجدناهم نصين مختلفين، تتكلم المعددة في النص عن طيبة الأخ وما يفعله مه أخته من كرم وعطف، وانه من كثرة عطفه على اخته تستطيع أن تسير على سيفه ولا تشعر بشيء بسبب لين قلبه وعطفه، وتتمنى أن يصبح ابن أخيها مثل أبيه لا يقسو على أحد، ونختم عديد الأخ بمقولة من إحدى الراويات وهي، الأب موجود، الابن مولود، والأخ مفقود.

عَدّيد الزوج والأب:

عَدّيد فقد الزوج فقد ما بعده فقد، السيدة التي فقدت زوجها وأصبح عليها عبء كبير بأن تعمل على تأدية دورها دور الأم ودور زوجها التي فقدته، فهي تتكلم عن زوجها وتخبرنا أنها فقدت المكانة الاجتماعية لزوجها وما كان عليه من صفات وأسلوب، وعلينا أن نفهم رسالة العَدذيد التي يقدمها لنا وبالأخص رسالة لعديد ع الزوج أو الأب، فنرى في المجتمع المصري كيف تعيش الزوجة منكسرة وضعيفة بدون زوجها، فهو سندها وقوتها التي تحيا بهما في حياتها دون أن تخاف من شيء، ولكن بعد فقدها لزوجها أصبحت ذليلة ومطمع لرجال المجتمع الفاسد.

تقول السيدة وهي تصف الزوج:

عَدَمك خسارة يا وَرد في چِنينَه يا عمود بيتك يا زَهْرة العيلة

عَدَمك خسارة يا وَرد في مِشَنَّة يا عمود بيتك يا زَهْرة الجَنّة

هنا الحَسرة تملئ القلوب على فقد الزوجة لزوجها وأن موته خسارة كبيرة لزوجته وأطفالها، وهو مثل الوَرد في الحديقة، الورد الذي يزين أي مكان بوجوده فكذلك زوجها بالنسبة لها، وهو

كالعمود للبيت بدونه ينهار البيت، فقد انهار وتفكك شمل الأسرة بعد موته، وزوجته تتحسر لموته وأن موته خسارة ما بعدها خسارة، فتعاود وتشبهه بالورد مرة أخرى وبالعمود للبيت وتختم قولها بزهرة الجنة وتدعوله.

كنت غَندُورة وسِتْ الناس بقيت مَذْلولة وشاربه الكاس

كنت غندورة وسَتْ الكُلْ بقيت مَذْلولة وشاربه المُرْ

في هذا النص تخبرنا السيدة بالفارق الكبير بين ما زوجها حي يرزق وبعد موته، أنها كانت تلبس وتتلون وهي تقول عن نفسها سيدة الناس الكل يحترمها ويقدرها، وبعد أن مات زوجها أصبحت ذليلة وذاقت طعم الموت، الكأس الذي يشرب منه الجميع، وهي الآن خائفة من تغير معاملة الناس لها بعدما فقدت ما كان يجعلها سيدة الناس.

على المسطبة باتوا طالبين كرم وأهل الكرم ماتوا

على المسطبة رسيوا طالبين كرم وأهل الكرم عدموا

فقد الزوج فقد كبير للزوجة المكلومة فيه، وأن حياتها ستتوقف عند تربية أولادها وأن المجتمع بأكمله يوجهها، لأنها ستكون صاحبة المسؤولية وتواجه العبء الكبير الذي ستقع تحته، وبفقدها لزوجها فقدت كل المعاني النبيلة، وهي تتكلم عن زوجها وتحدثنا عن كرم زوجها، أن ضيوف زوجها أتوا إليه وبقوا على المصطبة يطلبون الكرم وأن أهل وأصحاب الكرم ماتوا، وكثير من الغرباء كانوا يقصدون بيوت الكرماء، وكانوا يجلسون على المصطبة فيخرج لهم رب البيت بما لذ وطاب، وكان أهل الكرم يقدرون كل ما يأتي لهم، ولكن أهل الكرم أصبحوا في عدم، وأصبح الكرم قليل ولكنه سيزداد لأنه نابع من مجتمع أصيل له عراقته.

يا نَدل يا ابن النّدْل كان ليه رجال ما يحكموا إلا العدل

يا ندل يا هَفِيّه كان ليه رجال ما يجوش على وِلِيّه

المعددة تقول على لسان زوجة الفقيد فتقول لنا مقولة شهيرة وشديدة الأهمية وهي:

الندل شال راسه وحكى كلامه ما حد قام حاشه

الندل شال إيديه وحكى كلامه ما حد رد عليه

هنا تتعامل هذه السيدة بقوة وقدرة على صد هذا الأذى، وتوجه كلامها للأندال وأن المجتمع الحامي السند يقدر المرأة ويضعها في وضعها الحقيقي ويعطيها حقوقها، ويقوم باستكمال النواقص التي ترتبت على فقد زوجها، فهي رسالة ناضجة حين تذهب السيدة للأندال لتهدئة تنفيذ أفعالهم الضارة لها، والمجتمع يقوم بمعالجة ندالة الأشخاص ويصدهم، وأن رجالها الذين كانوا لا يضروا امرأة ولا يحكموا إلا بالعدل فهي قيم إنسانية ترسخ ومفاهيم راقية ترسل لأفراد المجتمع ليتمثلوا بها.

ع العيد وأنا جيكم وأشوف مين عمل جِميل فيكم

ع العيد وأنا أجي الدار وأشوف مين عمل جِميل وطار

أرسل لها زوجها المتوفى رسالة، فهو حريص ويتطلع إلى أهله ويريد أن يعرف من قام وقدم لأهله من معروف أو احسان، فهو سياتي يوم العيد ليزورهم ويعرف كل ذلك وسيرى من قدم المعروف في العالم الآخر، وكثير من المصريين والفلاحين على وجه الخصوص من يسارع بتقديم المعروف والجميل ولا ينتظر شيء أو حتر مقولة الشكر، فهو يفعل ذلك ويجري حتى لا يراه أحد، فتلك قيم ومفاهيم ومعاني عظيمة يجب أن تدرس لأبناء المجتمعات.

راجل وله عِمَه يعوز أبوه يرد له الكِلِمَة

راجل وله مِراته يعوز أبوه يرد له غاباته

هو رغم كبر سنه وأصبح ذو مكانة اجتماعية، يحتاج إلى أبيه ليتكلم معه ويحاوره ويصحح من أفعاله فالأب هو صاحب الحكمة ومعه مفتاح لكل تجارب الحياة، وعندما أصبح متزوجًا وله أسرة يحتاج أيضًا إلى أبيه ليرد له غبائه ويرجع له عقله إذا تغابى مع زوجته بسبب أفعاله أو يقوم بفعل خاطئ.

والله يابا اشتاق قلبي عليك واشتاقت القهوة لمد ايديك

البنت تتحدث عن أبيها التي فقدته، فهي تشتاق له بدرجة كبيرة وأن قلبها اشتاق لرؤيته، وهي تم حرمانها من شيء كانت تفعله باستمرار كل يوم كانت تقدم لأبيها القهوة، فكما اشتاق قلبها له اشتاقت القهوة لمد يد والدها، فهي عندما تقدم القهوة لا ترى يد والدها ليأخذ منها قهوته، فحرمت القهوة من ذلك مثل ما حرمت البنت من أبيها.

عَدّيد الذي لم يُنجب:

قَليل الوَلَدْ خلّيه في حاله طول النهار ما يِنشِرح باله

قليل الوَلَدْ خلّيه في غُلْبه طول النهار ما يِنشِرح قَلْبه

الرجل الذي لم ينعم عليه ربه بأولاد يكون حاله صعب جدا على كل من هو قريب منه، فهو بعد مشقة وتعب وعمل أي وسيلة لكي يرزقه الله بولد أو بنت ولكن للأسف بقي هكذا، فهنا لا ينفع لأي شخص أن يقرب منه فهو يريد أن يبقى وحيدا، ومع الأيام قلبه وعقله لا يهدئان ويفكر ويخاف من أن يحتقره الأندال، فتطلب السيدة من أقاربه أن يتركوه وحيدا ولا يقتربوا منه، لأنه غير قادر بتعبير عامي آخر (فيه اللي مكفيه)، فمات ولم ينجب عاش وحيدا ومات وحيدا.

بيتك يا خويا قاسوه بالفَدان قليل الخِلْفة ماليه حدانا مكان

بيتك يا خويا قاسوه بالنبوت قليل الخِلْفة ماليه حدانا بيوت

توجه السيدة كلامها لهذا الرجل فتخبره أن بيته عملوا له مقياس خاص وبما أنه لا ينجب فقد يحرم من البيت، وقد قاموا بقياس بيته ولكن هذه المرة بالنبوت، فكان ردهم عليه أن من لا أولاد له ليس لديهم من بيوت له، فهو مات ولم يترك أولاد ولا ورثة.

يا حَسرِتي ع اللي مات وما خَلفْشي كأنه حَمامْ الدار ما وَلفْشي

يا حَسرِتي ع اللي مات ما خَلفْ كأنه حَمامْ الدار ما ولف

هنا تقول السيدة أن الذي أتاه أجله وهو لم ينجب موته حسرة كبيرة لأهله ومثله مثل طائر الحمام الذي يدخل البيت ولكن لا يتعود عليه فيطير منه، وتتحسر لذلك على كل من مات بدون إنجاب فهو شبيه بحمام البيت الذي لم يطمئن ويسكن في البيت الذي دخله، فالرجل لا معنى له بدون ولد وسند له، كالبيت لا شكل له بدون طيور الحمام تعشش بداخله.

قليل الوَلَدْ مَقْطَفْ تُراب كبوه لا بِت جوّه ولا واد نَدَهوه

تقول المعددة أن من هو دون أولاد يشبه بحاله حال وعاء من التراب لا احتياج له فيقوموا بسكبه على الأرض، وأن هذا الرجل ليس له بنت أو ولد حتى ينادي على واحد منهم ففي البيت لا يوجد أحد حتى بعد وفاته.

خِسارة ع اللي رَاح ما خَلفْ زَي الحَمام لا باض ولا ولف

تقول السيدة أن موت الرجل دون إنجاب هو خسارة كبيرة، مثله مثل خسارة طائر الحمام الذي عشش في بيت من البيوت ولكن دون أن يبيض أو حتى يأخذ ويتعود على المكان فهجر منه سريعا.

يا داخله بيته وفي إيدك نور إرجعي ده بيت الجّدَع مَهْجورْ

كلام موجه لكل من يدخل بيت الذي لم ينجب، فتنادي عليها السيدة وتخبرها بان بيته مهجور ومليء بالخراب، فإذا كانت تدخل عليه وفي يديها نور ما لتنير له فهو لا يحتاج ذلك، لأن لا ولد له ينير له بيته، فبيته مهجور ولا صوت فيه لأنه لا يُنجب، وأنه مات ولم يترك وراءه أحد.

عَدّيد كبير العائلة:

رُحت بيتك وقُلت يا أهل البيت حَطيت راسي ع العَتب وبَكيت

رُحت بيتك وقُلت يا أهل الله حَطيت راسي ع العَتب برّه

تقول السيدة أنها كانت تتعود على الذهاب إلي بيته كثيرا لتزوره، ولكن هذه المرة ذهب إلى البيت ووضعت رأسها على عتبة بيته وبدأت بالبكاء لأن البيت فقد السيرة الطيبة الحسنة صاحب الحكمة والمشورة الرائعة، الذي كان الجميع يلجأ إليه ليعرضوا عليه بعض قضاياهم، فهذه سمات وصفات كبار السن هم أهل الحكمة والتصرف، ومن عادة المصريين كانوا يجتمعون عند كبير السن ليناقش لهم قضية ما في القرية دون الذهاب لعمدة البلد أو استخدام حل آخر، فبعد هذا كله رحل صاحب الوجه البشوش وبكي لفراقه أهل القرية بأكملها.

سَلامتك يا عَريض الكُمْ والله خُسارة ده التراب يلم

سَلامتك يا عَريض الأكْمَام والله خُسارة ده التراب لَمّام

النص يخبرنا بعادة كبار العمر المصريين الذين يرتدون ملابس واسعة الأكمام، فالسيدة تلوم الزمن وتقول أن فقده خسارة، خسارة بعد هذا كله يكون صاحب الكُمْ العريض وذو الخبرة والحكمة في الحياة ينتهي به الحال ويكون في القبر، هنا السيدة تتحسر عليه أن التراب لَمام، لكي يكون بداخله هذا الرجل الذي له ما له من صفات وعادات كان الجميع يمتثل لها.

شَاع الخَبر وراح بلاد وبلاد قالوا اتْوَفى الراجل السّداَد

شَاع الخَبر وراح عنديهم قالوا اتْوَفى أحسن ما فيهم

انتشر خبر الوفاة لرجل من خيرة الرجال، صاحب السمعة الحسنة والصفات الكريمة، فانتهي عمره وانتشر الخبر في كل البلاد المحيطة، ليعرفوا الذي مات هو السّداد الذي كان يقف بجانب أي شخص ويأتي له بحقه دون التفريط فيه، وعندما وصل الخبر إلى آخر القوم قالوا مات أجمل وأكرم وأفضل من فيهم جميعا.

بعد هذا العَرض لعَدّيد المرحلة العمرية للرجال، وشاهدنا كيف يتغير مضمون النص بتغير صاحبه مع اختلاف العمر فقط، وقمنا بتقديم لكل مرحلة عمرية مجموعة من النصوص تحتوى على شرح وتفسير لمكانة ودور كل فقيد وما كان يشغله من دور اجتماعي بارز بين أهله وأهل قريته والقرى المجاورة، فتطرقنا لكم ليس بكبير من نصوص العَدّيد المختلفة من جانب المرحلة العمرية للرجال من (الأطفال، الشاب والعريس، الأخ، الأب والزوج، وعَدّيد الرجال نراه يختلف

من حيث عمر الميت ونوع حياته ومهنته، لنجد عديد الأطفال يختلف عن عديد الشباب وهذا يختلف أيضا عن عديد كبار السن، فهذا كله عديد والعديد بطبيعته مليء بالمضامين ومفاهيم ومعاني تتخلل بين كل نص وآخر، وكان من الواجب علينا فتح كل ما هو مغلق من رسالة أرسلها لنا العديد ومهمتنا هي فتح وقراءة تلك الرسالة وفهمها فهما جيدا من غير أن يغلبنا طابع الحزن والأسى.

ولا نزال نسير في طريقنا دون الخروج عن وجهتنا الأساسية وهي عند قراءة النص نريد أن نعرف ما وراء النص، ماذا يخفي نص العديد، من أي باب سندخل للنص، كل هذه الأسئلة لابد من إجابتها عن طريق قراءة النص ومعرفة مضمونه جيدا دون أن يأخذنا النص بحزنه وقسوته بعيدا، فكما قولنا العديد ما هو إلا رسالة لنا يطلب منا أن نعرفها ونفهمها ونحلل شفراتها، ولنذهب إلى مضمون جديد من نصوص العديد، وهو هذه المرة خاص بنصوص النساء؛ تلك النصوص التي تتمتع بطابع خاص غير الرجال طابع القوة والهيبة، وسنرى معاني ودلالات جديدة وألفاظ رقيقة في القول والوصف شديدة في معناها، العديد خاص بالنساء نعم أوافق تمام، ولكن لننظر إلى الفارق الكبير حينما تُعَدِد امرأة على رجل، وامرأة على امرأة هن نساء يعرفن بعضهن البعض جيدا، فتنساب الكلمات والمعاني من فم السيدة ويأخذنا رنين كلماتها وقوة وشدة صوتها وهي تخرج لنا هذه النصوص، لنجد كيف تقوم بهذا الأداء الرائع والعَبقري، ولنسترق أسماعنا وأبصارنا إلى عديد النساء.

عديد المرحلة العمرية للنساء:

عديد الشابة والعروسة:

يا صغيرة يلّي الوجع كادكي حَرِمك نومك على چنابكي

يا صغيرة يلّي الوجع ضرك حَرِمك نومك على چنبك

حدثت فجيعة كبرى في عائلة ما عندما فقدت شابة وهي في مقتبل عمرها ولم يأتيها نصيبها من الزواج، فنرس ونسمع السيدة تتحسر وتتألم لحالها قبل مماتها، لأنها كانت صغيرة في

زهرة شبابها، حتى أصابها المرض الذي كان لا يجعلها تنام الليل ولا ترتاح ولا يهدأ جسدها، فتلك حسرة وخسارة كبيرة وفقدان لبنت في ريعان شبابها.

قومي يا صبيه البسي الساسِي الرمل ياما غطى راسي

قومي يا صبيه البسي البَمبي الرمل ياما غطى جنبي

يدور حوار بين المعدة وبين الفتاة، فهي في مرحلة الصِبا، وكانت تتزين وتلبس اجمل ما عندها فتخاطبها من أجل أن تقوم وتلبس اللون الزاهي، لأنها حدث لها الكثير من المصائب وكانت عندما يأخذ منها الموت أحدا، كانت تقوم بوضع الرمال على رأسها وجنبها، فهي تقول كلمة " ياما" وهي تدل على الكثرة، كثرة ما أصابها من حزن وبكاء على ما تفقده، وإذا تأملنا النص نجد أن السيدة التي تُعَدِد هي أمها فهذا عديد الأم على ابنتها.

يا قبر چايلك عروسة مِحَنية الكفوف والكعب

خَدت معاها الهنا وسابت وَچع القلب

يستمر الحوار فنراه قد انتقل من شخص إلى شخص، وأصبح بين شخص والقبر، فالمعددة هنا تخاطب القبر بأن التي ستدخله هي عروس قبل زفافها، فيزفها أهلها إلى الموت، فقد كانت متزينة بمظاهر الفرح والحِنّة على يديها وكعوبها، فكانت عادة المصريين أن يجعلوا البنات يضعن الحنة عليهم، وذلك من مظاهر الفرح والسعادة، وعندما ذهبت اخذت معها كل ما هو جميل " الهنا"، ولم تترك لأهلنا ولنا إلا وجع القلوب وكسرة النفوس.

نازلة على الفَحار مسنودة متخافيش أيام ومعَدُّودة

نازلة على الفَحار واتسندت متخافيش أيام واتحسبت

هي الآن ستدخل القبر ويستقبلها الرجل الموَكل بالدفن " التُرَبي"، وأهلها يقومون بحَملِها وتقول لها السيدة أن لا تهاب من الموقف، لأنها وحيدة الآن، وأن حياتها وأيامها ما هي إلا أيام معَدُّودة ومحسوبة، والعمر له فترة زمنية وينتهي وحين ينتهي يصبح الإنسان وحيدا لا ينفعه المال أو الأهل.

أنزل على الفَحار وأقوله شعر الصبية من التراب لِمه

انزل على الفَحار وأشكيله شعر الصبية من التراب شِيله

تريد هنا المعددة ان تتوجه إلى الفحار الذي يدفن الموتى، وتقول له أن يقوم بجمع شعر الفتاة الصبية الصغيرة التي لم تنل فرحتها وسعادتها في الحياة، فالسيدة تجلس معه وتشتكي له من قسوة ومرارة الأيام وعلى ما يفعل مع الصبايا، وتطلب منه أن يجد شعر الصبية ويزيله من التراب، لأنه سر جمالها، فغالبية البنات الريفيات يتمتعن بالشعر الناعم الطويل، فالفقيدة كانت من ذوي الشعر الطويل عنوان وجمال لمرأة.

عديد الأم والمرأة الشابة:

راحَت الصّبية وشَعْرها سايب وقلبها على الضّنى دايب

راحت الصّبية وشَعْرها مَبلول وقلبها على الضّنى مشغول

ننتقل إلى مرحلة عمرية أخرى وهو عديد الأم والمرأة الشابة، تقول المعددة، ذهبت وتركتنا الصبية وشعرها سايب، وقلبها متوجع ودايب على ابنها التي تركته، رحلت وكان شعرها مبلول ومع ذلك قلبها على ولدها مشغول، فكيف سيعيش بدونها.

غُراب البين ع النَخيل ينوح ع اللي تسيب عيالها وتروح

غُراب البين ع النَخيل بيبكي ع اللي تفوت عيالها وتمشي

طائر الغراب في عادات المصريين معروف بالفأل الشؤم، وأن كارثة ومصيبة ستحل قريبا، ولكنه هذه المرة يقف على شجر النخيل ويزعق ويبكي بصوته حزنا على المرأة التي ماتت وتركت أولادها، ففي النص مضمون حزين لأم ماتت وخلفها أولاد، فنرى لأول مرة طائر الغراب يصيح حزنا على فراقها تاركة أولادها لحالهم.

عِشنا حبايب عيشنا مرصوص يا ريت غُراب البِيْن كان محبوس

عِشنا حبايب عيشنا طايب يا ريت غُراب البِيْن كان غايب

النص هذه المرة على خلاص بالنص الذي سبقه، فعاد مرة أخرى طائر الغراب ولكن بعادته الشهيرة " فأل شؤم"، تتحدث السيدة عن عيشتهم الطيبة الحبيبة والخبز المرصوص، وتتمنى لو كان هذا الطائر المشؤوم محبوسا، لأن وجوده وظهوره دليل على مصيبة ستحل بقوم ما، فتعيد المعددة قولها ثانيا، أنهم كانوا أحباء لا بينهم ضرر أو أذى ويعيشن حياة كريمة، حتى أتي غراب البين وافتقدوا حبيبة من أحبابهن، وتمنوا جميعا لو غاب هذا الطائر فترة كبيرة.

يا حبيبتي يامه يا طَرحتى الزِيتي يا شايله هَمي وأنا في البيت

يا حبيبتي يامه يا طَرحتى الخَضْرة يا شايله هَمي وأنا برّه

عديد من نوع مختلف عديد بنت على أمها، كلمات شديدة في الحزن قوية في المعنى، ويخبرنا النص بالعلاقة القوية التي كانت بين الأم وابنتها، وأن أمها كانت بمثابة طرحتها التي تغطيها فهي تتزين بأمها، وكانت تزيل عنها همومها وهي في البيت، نرى في مجتمعنا المصري الريفي كيف تكون علاقة كالأم بابنتها فهي حبيبتها وصديقتها ورفيقة دربها، فالأم كطرحة للرأس، والتي تزيح الهم والغم عن ابنتها، فهي الآن شقية وتعيسة من غير أمها.

يا حبيبتي والراس جار الراس نتكلموا وما يسمعوش الناس

يا حبيبتي والفم جار الفم يا محلا كلام البت ويا الأم

هذه صورة أخرى في مجتمعنا يخبرنا بها العديد، وهي سر العلاقة القوية والترابط الأسري الكبير بين الأم وابنتها، فكانا يتحدثان وهما قريبان من بعضهما " الراس جار الراس"، وذلك حتى لا يسمع الناس حديثهم، وتتعجب البنت من حلاوة وجمال كلام الأم مع ابنتها، فالبنت تحدثها بكل ما تمر به في حياتها، فالأم هي المربية والمعلمة والمرشدة التي تستعين بها البنت في أمور حياتها.

يا شابه في نومها نامت حبايبها جوها ولا قامت

يا شابه في نومها رقدت حبايبها جوها ولا إتعدلت

المرأة في مجتمعنا بطبيعتها تحب أن تجالس الكثير من النساء تتعرف ويتعرفن على بعضهن البعض، فحين أتى أجلها وماتت فهي كالنائمة لم تقم من مكانها أو حتى تعتدل عندما دخلوا عليها أحبابها، فالكل يسارع إلى بيتها لتوديعها وتشييعها إلى مثواها الأخير.

يا لحَّاد اكنس ورش هتجيلك المُؤمنة وعليك هَتخُش

نسير مع النص لنفهم رسالته ودلالة كلماته ومفاهيمه، فعند الحديث عن عديد الأم هي أم للجميع وليس لأولادها فقط فالكل يبكي ويحزن لفراقها، ففي هذا النص رسالة موجهة لحارس المقابر، أن يقوم بتنظيف المكان ورشه بالماء، حتى يلائم المؤمنة التي ستدخله، عند اعلان الوفاة يقوم الرجل الموكل بذلك بفتح القبر وتنظيف المكان حتى يحين موعد الدفن ودخول الجثمان القبر.

بنيت ليكي بطوب جديد قِدرتي على فُراقي وأنا ما رضيت

بنيت ليكي بطوب أحمر قِدرتي على فُراقي وأنا ما أقدر

نسير مع عديد الأم ونذكر مثل ما توجد علاقة كبيرة بين الأم وابنتها، كذلك وجود علاقة بين الابن وأمه، ويكون الفراق بينهما صعب بدرجة كبيرة، وابنها قد قام بتغيير بيتها وبنى لها بطوب جديد، ولكن الموت بطبيعته أقوى فقد فرق بينهما، وأمه ليس تملك شيء غير أنها سلمت للموت، وتركته وهو غير راضٍ بهذا الفراق، فالمعددة تقول على لسان ولدها أنه بنى لها بيتًا من الطوب الأحمر وهو غير قادر على فراقها.

عديد المرأة التي لم تُنجب:

كُبوا الميّه وكَحْرَتوا البَلاّص مَمْعَهاش وَلَد ياخد العَزا يا ناس

كُبوا الميّه وكَحْرَتوا الجرّه مَمْعَهاش ولد ياخد العزا برّه

كما يوجد عديد خاص برجل لم يترك أولادًا، كذلك عثرنا على عديد خاص بامرأة لا ينتجب أيضا، فنكرر أن مضمون كل نص يختلف عن غيره وهذا راجع إلى الرسالة الآتية من

العديد وماذا تحوى بداخلها، فيطلب من الجمع أن يستغنوا عن الماء بسكبه، ذلك الماء المستخدم في رش مكان العزاء، ولأن الفقيدة ليس لديها ولد يقوم بأخذ عزاء ويستقبل الناس، فعادة الناس يملئون الجره بالماء لتنظيف مكان العزاء، ويا حسرتاه فقد ماتت ولم تترك ولدًا ليقف في عزاءها.

قَليلة الوَلَدْ قوموا نُوَدعْها شوفوا الزّمن وعَمايله معها

قَليلة الوَلَدْ قوموا نُوديها شوفوا الزّمن وعمايله فيها

النص يمتلئ بمعاني ومضامين كثيرة، ونرى كيف يتعامل الزمان وأيامه، فتقول المعددة لجمع النساء أن قليلة الخلفة يجب أن نودعها وتخبرنا بأفعال الزمان معها، وهي وحيدة لا ولد لها فقد تعبت وشقت في حياتها وانقضى بها الأمر وحيدة في قبرها كما كانت وحيدة في حياتها.

مال الحبيبة سِريرها مايل؟ مَلهاش وَلَدْ بين الولاد باين

مال الحبيبة سِريرها مَحْدوف؟ مَلهاش وَلَدْ بين الولاد مَعْروف

الفقيدة لا ولد لها ليحملها في جنازتها، فقديما كان يوجد سرير يصنع من جريد الحبال يحمل عليه كل ميت، فهو مائل، والفقيدة ليس لها ولد معروف أو ظاهر بين الناس في الجنازة، ليسير في جنازة أمه ويحمل سريرها.

قليلة الوَلَدْ يدوا عزاها لمين؟ يدوا عزاها للقبر والطين

قليلة الوَلَدْ يدوا عزاها يا ناس يدوا عزاها للقبر والكاس

قليلة الولد، لمن يعطوا العزاء فهي لا ولد لها، وأن المعزين لم يقدموا عزاءهم فيها، لعدم وجود ابن لها، وكلمة الكأس هي إشارة ورمز للحزن والبكاء، فالبكاء هنا حارا وقاسي، لأن الفقيدة لا ابن لها.

حَلاوة النخلة ساقيها حَلاوة الحُرْمَة وَلَدْ ليها

حَلاوة النخلة بلَح وجِريد حَلاوة الحُرْمَة وَلَدْ وشِقيق

جمال النخلة أن يكون لها ساقي يرعاها ويحافظ عليها، فالسيدة التي تعدد تشبه تلك النخلة بالمرأة التي لو ماتت وتركت ولد لها، ويا أسفاه على امرأة رحلت ولم تترك وراءها شيء، فالنخلة يزنها البلح وفروعها فكذلك المرأة ولد لها هو زينتها، فبدونه لا زينة لها، مثلها مثل النخلة التي تكون بدون جريد أو بلح فلا ينظر لها أحد، ونبرز بعض من التشبيهات الرائعة فنستطيع أن نقول أن النص يحتوي على صورة من صور التشبيه وهو التشبيه التمثيلي، تمثيل صورة بصورة أو هيئة بهيئة أو حالة بحالة، فحال النخلة كحال المرأة في كلتا الحالتين لها ولد أم لا.

تختلف نصوص العديد من فرد لآخر ومن منطقة لأخرى ولكل فقيد له ما له من النصوص الخاصة به التي تتحدث عنه وتذكر صفاته ومكانته ودوره الاجتماعي وما كان عليه في حياته سعيدا كان أم شقيا؛ وعديد الرجال المختلف بكل مرحلة عمرية والتي بدأناها بعديد الأطفال وصولا إلى عديد الرجل كبير العائلة، وفي أثناء التنقل بين كل عَدُّودة وأخرى رأينا التحول الفظيع في المعاني والألفاظ ودلالة كل معنى وما يشير إليه، ونحن في طريقنا لدراسة مضمون نصوص العديد أخذنا أيضًا المرحلة العمرية التابعة للعديد ولكن الخاصة بالنساء من العروسة والشابة إلى التي لم تُنجب، كان علينا أن نعرف ما الدافع وراء قول تلك النصوص بهذه العبقرية وهذا الإبداع الذي فاق الخيال في التصوير العاطفي واستخدام ألفاظ وكلمات ذات قوة في المعنى وشدة في التأثير كلمات جلبت للنفس كسرتها وللقلب حزنه وبكائه؛ وإلى مضمون آخر وأخير في دراستنا هذه وهو عديد الموضوعات والمناسبات.

عديد الموضوعات والمناسبات التي يحتوي على موضوعات مختلفة كل موضوع له نصوص معينة ولا يمكن أخذها إلى موضوع آخر ففي مكانها تُعطينا الإحساس بحرارة النص وشدته، فعديد الموضوعات والمناسبات لا توجده بينه وبين المرحلة العمرية علاقة، فهو موضوع يُقال فيه ما يقال ولا يتم الانتباه إلى فئة معينة؛ يشمل هذا النوع من العديد كل الفئات العمرية من الرضيع حتى كبير السن وله مضمونه الخاص الذي لا يمكن الخروج عنه وواجب منا أن نعمل على فتح كل ما هو مغلق من كلمات ودلالات ذات معنى واسع وكبير ولا نتأخر عن قراءة كل ما يأتينا من رسائل يجلبها العديد لنا.

عديد المرض:

دَخل الحَكيم وشَنطِته بانت والدَمعَة من عِينه اليمين سالت

دَخل الحَكيم وشَنطِته طَلت والدَمعَة من عِينه اليمين فَرّت

عديد المرض الشديد الذي يمكن أن يصل إلى درجة كبيرة من الآلام، وعادة المصريين إذا مرض أحد في الأسرة يرسلون إلى الطبيب للقدوم والكشف عليه، وعندما دخل ومعه ادواته التي يستخدمها نزلت دموعه، نزلت حزنا ووجعا على مرضه وأنه قد فارق الحياة ولا بيد الطبيب شيء يفعله.

تَعال يا طَبيب طَبطب وخد ليك مال طِلع الطّبيب بِشكي بشؤم الحال

تَعال يا طَبيب طَبطَب وخد ماله طِلع الطّبيب بِبكي على حاله

نرى هنا أن أهل المريض في ترجي تام من أجل أن يأخذ الطبيب مال مقابل علاجه، ولكن خرج الطبيب وفي حالة من الحزن ويشكي من حالته عندما اشتد به المرض وأن الموت على بابه، ونرى التكرار مرة أخرى يعود بقول المعددة تطلب منه المجيء ولو أخذ مال المريض كله، وهذه المرة بكى الطبيب على حاله لأنه قد فارق الحياة.

دَخل الحَكيم مَدُّوا أياديهم قال الحكيم ممعيش دوا ليهم

دَخل الحَكيم قعدت أنا قدامه قال يا شَقيّة خِلْصت أيامه

عندما يدخل الطبيب فهو الأمل الأخير في هذا الوقت الصعب الذي يعيشه أهل المريض وهم في حيرة كاملة ولا لديهم شيء يفعلونه، إلا التمسك بالطبيب ولما دخل عليهم مدوا أياديهم مستعطفين وراجين منه أن يعمل ما يعمل حتى يشفيه، ولكنه خيب أملهم في الشفاء ولا يوجد معه دواء لعلاجه وقال لأم المريض أن أيامه في الحياة انتهت.

يا طَبيب اكْشف وعريني تِلقى العَيا جوّه مصاريني

يا طبيب دور وأنا أدور تِلقى العَيا في الجوف متصور

النص يحمل صورة جديدة وهي الخطاب بين المريض والحكيم، فنجدها تقول ذلك على لسان المريض، أنه يطلب من الطبيب أن يكشف عليه ويعريه ويخبره المريض أن المرض بداخل معدته، صورة نأخذ منها شدة الموقف وتصويره العاطفي الشديد واستخدام كلمات قوية في الدلالة شديدة الحزن.

دَخل الحَكيم قُلت للحَكيم ماله إداني دوا معرفتش أنا أشكاله

دَخل الحَكيم قُلت الحَكيم عمل إيه إداني دوا معرفتش شكله إيه

تتساءل والدة المريض بأن يعرف الحكيم ماذا ألم بابنها، وبعد أن كشف عليه أعطاها دواء كثير لا تعرف عنه شيء لا من حيث شكل الدواء ولا من حيث نوعه.

حِزين ع اللّي راح بأوْچاعه لا حَكيم چاله ولا دوا نفعه

حِزين ع اللّي راح بوَچَعه لا حَكيم چاله ولا حتى الدوا نفعه

تجلس المعددة وهي بائسة وحزينة وتتحسر بشدة على المريض الذي مات وهو متوجع، وأن لا طبيب زاره ولا أيضا الدواء قد نفعه، فالحزن عم على الجميع عندما علموا أن الميت فارق الحياة دون أن يراه طبيب، أو حتى يُوصف له دواء، وكان في حالة يُرثي لها لا نفعه شيء سواء طبيب أو دواء.

عديد القتيل:

كل مما سبق من نصوص عديد مختلفة الأنواع نجد أنها تجمعها مناسبة واحدة فقط وهي الموت، وأقصد الوت في ظرف عادي التي ليس لها علاقة بحادث ما، وعلى غرار ذلك توجد نصوص عديد تكون مصحوبة بحادثة ما أي مناسبة ومن المناسبات نبدأها بعديد القتيل، الذي صار من أبواب العديد ويشمل جميع مراحل الحادثة من خبر القتل حتى دفن القتيل.

يا أبو شنابات برام برام دَورنا عليك لقيناك مَرمي في ريح الأكوام

يا أبو كُفوف مِحنّية دَورنا عليك لقيناك مَرمي جَنب سور الحَنفِية

تصف السيدة صفات القتيل وهو في ريعان شبابه، وشنباته، وعندما عثروا عليه وجدوه بين أكوام من القمامة، وقد كان صاحب كفوف مِحنّية شاب في مقتبل عمره انتهي أجله وتم الحكم عليه بالموت قتيلا، ووجدوه ملقى بجانب مكان معروف " سور الحنفية".

يا حَسرتي بَدري لمّا قالولي مات دَبيت على قلبي سَبع دبات

يا حَسرتي بَدري لمّا قالولي مات واتهد من حيلي سبع هدات

الحسرة تملئ الجميع وبخاصة الأم التي تقوم بمهمتها وتقول على لسانها المعددة، تتحسر لما حدث له عندما علمت بخبر قتله فقامت بضرب قلبها سبع دبات حزنا على فراقه، وقد ضعفت صحتها وقلت وأهدها خبر وفاته قتيلا.

لمّا وقْع مين شاله حتى جريد الَنخِل طاطا له

لمّا وقْع مين سَمّى عليه حتى جريد النَخِل طاطى عليه

هنا الحزن والتساؤل عندما سقط قتيلا، من قام بحمله الحزن والبكاء وصل إلى جريد النخل حتى أراد أن يحمله عندما انحنى له، فتصوير المعددة بصورة مفجعة وحزينة، وتكرر قولها مرة أخرى لما وقع، إشارة إلى صفة الغدر، أن النخل انحنى له حزنا وقهرا على حالته.

اتنين ورا واتنين ورا النَخلة واتنين يقولوا خَدوه على غفلة

اتنين ورا واتنين ورا البُستان واتنين يقولوا خَدوه وهو غفلان

وهذه عَدُّودة توضح لنا كيف كان قتله، عندما تربصوا به الأندال والقَتلة وراء النخلة والبستان، وقاموا بضربه على حين غفلة دون أن يشعر أو يعرف مكانهم، فقد كان في غفلة ولا يدري ماذا ينتظره؟.

يا نايحه نوحِي عليه نوحِي فُلان إتْمَدد على اللوحِي

زقزق يا عَصفور وازعق يا غُراب لقيناه مقتول ومَرمِي في الخَراب

وعندما قُتِل غدرا تطلب أمه من النائحة " المعددة"، أن تنوح عليه وتطلب من العصفور أن يزقزق حزنا ومن الغراب أن يزعق ألما على موته، لأنه على اللوح لكي يغسلوه ويكفنوه، بعد أن وجدوه قتيلا وملقى في الخراب، وهو مكان ملئ بالقمامة.

عديد الغريب:

هاتوا المَخدة واسْندوا راسي أكتب جَواب وأبعَته لناسي

هاتوا المَخدة واسْندوا راسي أكتب جَواب وأبعَته لأهلي

الغريب الذي يموت وهو بعيدا عن اهله له عديد خاص به، عديد يصف موته في غربته، وهذا الغريب تقوم المعددة بتصوير هيئته وهو في غربته وقد تثاقل عليه المرض واشتد به، ونراه يلتمس من أصحابه أن يساعدوه ويساندوه، حتى يكتب خطابًا لأهله وناسه ليذهبوا إليه لرؤيته ليودعهم ويودعوه قبل الموت.

نَعش الغَريب يا خويا في البحر ما يِمشي خاطره يفضل حدانا في الحي مِشْ سمشي

نَعش الغَريب بيوطى ويعلى تاني لفوق داير على أحبابه لچل ما يبل الشوق

هي هنا تتخيل الغريب بصورة وفاته وتقصد نعشه المحمَل فيه، وأنه لا يسير بسهولة وكان يتمنى أن يبقى وينتظر أن يتقاسم كل أحبة الحي الحزن والبكاء عليه، وتوصف النعش بالهبوط والعلو أثناء سيرهم فنرى النعش في حالة بطيئة وليس على استعجال، ويريد أن يذهب لأحبابه من أجل أن يذوق طعم الحنين إلى بلده وأهله، فهو غريب وميت في بلد غريبة.

عديد اليتامى:

إذا نظرنا إلى هذا النوع من العديد فسوف نجده من حيث المناسبة عديدا على الرجال كبار، ومن حيث الموضوع هو عديد للأطفال الذين يتركهم آباؤهم، ونرى روعة التصوير لما سوف يلحق بهم من آلام وأحزان، والذل في الحاجه إلى الناس، وأن عندما يموت رجل وهو تارك أولادا يقمن النساء بالتعديد له على حسب مرحلته العمرية، ثم يعددن على هؤلاء الأطفال الذين سيقعون تحت الذل والهوان والكسر بعد وفاة والديهم.

يا أُم اليَتامى وارْفَعي المَقْصوص رَبّي اليَتامى واعْملي مَعْروف

يا أم اليَتامى وارْفعي القُصَه رَبّي اليَتامى واستحملي الغُصَة

هي حالة فقد الصغار للأب، فتخبر المعددة الأم بأنها هي المسؤولة، وهي صاحبة كل ما سيقع على عاتقها، ولأن من كان يقوم بذلك كله فُقد وعليها أن تلعب هذا الدور وأن حالة فقد الأب غصة ما بعدها غصة، فيجب أن لا تهتم بشخصها وهندامها وترفع المقصوص، وتقوم بتربية اليتامى وان تصنع معروفا فيهم، وتعيد المعددة ندائها مرة أخرى بأن ترفع القصة وتبعد عن الاهتمام بجمالها وتستحمل الغصة غصة فقد أولادها للأب الحاني والسند.

لِميهم وعَشّيهم قبَل ما يخُش اللّيل وتحتاري فيهم

لِميهم وعَشّيهم قبل ما يُخش اللّيل وتنسيهم

هنا خطا بآخر موجه لأم اليتامى أن تحافظ عليهم وتقدم لهم الأكل، قبل أن يأتي الليل وتحتار فيهم، وكعادة المصرية الريفية التي كانت تحافظ على كتاكيتها من الحدأة وكان عندما يحين موعد الغروب تذهب إليهم وتضعهم داخل قفص، فهو الحال بالنسبة لأولادها تحافظ عليهم قبل الغروب حتى لا يضيعوا منها ويأتي عليهم الليل وتنساهم.

و الله اليَتامى وَردهم دبلان وقُعَادهم وسط الصِغار بيبان

والله اليَتامى وَردهم قَطفوه وقُعَادهم وسط الصِغار عِرفوه

كل ما يؤلم أنها تلاحظ وترى في اليتامى حالة من الحزن والبؤس وعليهم طابع الذلة، كل ذلك يجعلهم مميزون ومعروفون بين الجميع، فحال اليتيم موقفه شديد وثقيل الهم والحزن على القلوب، وكل من يرى يتيما يحزن لحاله ويبكي على حياته.

والله اليَتيم هزّني همّه لما لقيته ماشي ورا عَمه

والله اليتيم هزّني حاله لما لقيته بِيبكي ورا خَاله

وصورة أخرى وهي أشد ألما حينما يهزها حال اليتيم، وهو يسير خلف عمه أثناء مشيهم في جنازة الأب، فهي ترتعب وتخاف وتحزن لحال اليتيم الذي بكى وامتلئ قلبه حزنا وألما وهو يمشي خلف خاله، فكيف له أن يجد فيهم ما كان يجده في أباه.

اليتيم إن كان شاشه دَهَب مَنتور برضه يتيم وخاطره مكسور

اليتيم إن كان شاشه دَهَب نَتروه برضه يتيم وخاطره كَسروه

عديد اليتيم الذي لا ينتهي ولا نستطيع ان نكف عن البكاء والحزن عند سماعه، فمهما كان اليتيم شاشه من ذهب ومرصع بالمجوهرات أو غيره فهو يتيم وسيظل يتيمًا، يعيش ذليلًا ومكسور النفس، فمن سيعوضه بعد أمه وأبيه، فبعدهما لا شيء ينفع ولا يعادلهما أحد.

عديد الحزن:

وبعد الانتهاء من عديد القبر يأتي دور عديد الحزن الحزن على الفقيد وذكر والرجوع إلى حياته في الدنيا وشخصه، ويحين قدوم مناسبة سعيدة وهو عيد الفطر المبارك.

يا عيد عيّد ع الچيران وإمشي إحنا الحَزانى ما بنعيدشي

يا عيد عيّد ع الچيران ورُوح إحنا الحزانى وجلبنا مجروح

فالقلب حزين والنفس مكسورة، فالمعددة على لسان الحزانى تطلب من العيد أن لا يأتي إليهم وأن يذهي للجيران فقط، لأنهم حزانى لا يفرحوا، ويتمنوا لو تنتهي فرحة العيد لأن قلوبهم جريحة.

يا عيد عيّد من ورا الأبواب دحنا حزانى ورِجالنا غُيّاب

يا عيد عيّد من بعيد وإمشي دحنا حَزانى وجَلبنا مَشوِي

وعَدُّودة أخرى ويأتي عليهم العيد، ولكن يريدون منه أن يكون من وراء الأبواب، فالحزن يملئهم لغياب وفقدان الرجال، فهم حزانى وقلوبهم في حالة كبيرة من الحزن والقسوة، والفرح لا يعرف لهم طريق.

دَخلت القبر دُودة تِتْمشّى تاكل الحَواجب والشَنب لسه

دخلت القَبر دودة تِتْمِخْطر تاكل الحواجب والشنب الأخْضر

وهذه عَدُّودة خاصة بامرأة ذهبت للقبر لتزور فقيدًا، فوجدت دودة من ديدان القبر وبدأت تخيل الموقف والهئية التي بها الميت، لتقول أن الدودة تتظاهر بسيرها البطيء على جسد الفقيد لتأكل حواجبه وشنبه الأخضر الذي يدل على مرحلة شبابه.

لولا المَلامة لأطلع جبل عالي ولا أجاور الفرحان ولا الخالي

لولا المَلامة لأطلع جبل مطروح ولا أجاور الفرحان ولا المجروح

ذكر لفظ الجبل في نصوص العديد وخاصة عديد الحزن ما هو إلا دلالة على ثقل وتراكم الهموم، والجبل العالي هو الجبل الذي ستصعده السيدة ليبعدها عن الناس وتنظر من بعيد إليهم وتختلي بنفسها، وعندما ذكرت جبل مطروح فهو الخاص بالراحة، لأنه بعيد وفي مكان خاص ويبعد عن الناس وعن همومهم الثقيلة.

عديد الغُسل:

بات الفقيد ميتا ثم قاموا وحملوه وجردوه من ملابسه وحان ميعاد غسله، ولقد أحزنها هذا المنظر فقالت:

يا مَغِسْل قبل ما تِغَسل العين مَيّل عليه وقولُه أختك تُروح لمين؟

تخاطب وتنادي على من يقوم بتغسيله وتستأذنه قبل أن يضع الماء على عينه، أن يقرب منه ويقول له اختك تروح لمين، الأخت فقدت أخيها سر قوتها وسندها وقد انكسر ضهرها وأصبحت وحيدة ولا تعرف إلى أين تذهب، بعد موت أخيها فتلك منظر حزين ورهيب يصنع حالة من الحزن الكبير والشديد في قلب أخت الفقيد.

مالك بتكب الميّه على عينه يَكش ملقتش حد غيره

وبعد أن قام الرجل بوضع الماء على عينه، تستفسر وتتساءل وتتعجب لما يضع الماء عليه، وتقول له لماذا هو؟، ألم تجد أحدًا غيره تقوم بتغسيله.

وهكذا فإن العَدّيد بطبيعته قد يكون بمعنى عام محروما من المعاني الكثيرة والعميقة والصور البلاغية، ولكن يوجد به شيء يمده بالبروز ويعطيه ميزة مختلفة عن غيره من الآداب الأخرى وهي قوة التصوير العاطفي التي يرسمها لنا العديد، وهي صورة مؤثرة تؤثر تأثيرا كبيرا في النفس وتجلب الحزن للقلوب، وإذا كانت بعض من هذه الصور فارغة من المعاني، المعاني التي يبحث الأدب عنها ورغم خلوها نجد أنها مليئة بالإحساس ولها قدرة عجيبة على الإثارة وتحريك النفس بعواطفها، فالعديد يعتمد على التصوير العاطفي ومدى قوته وتأثيره على المستمع أو المتلقي.

نصوص العديد لها مكانتها المرموقة بين ألوان وفنون الأدب الشعبي، نصوص كشفت لنا عادات وتقاليد الشعب المصري الريفي وكيف تصف تلك النصوص صفات الميت وذكر دوره ومكانته الاجتماعية وعلاقته بأهله وأهل قريته؛ فمضمون كل نص من تلك النصوص يُبنى بناءً خاصًا لكي يلائم ويراعي الحالة التي تتماشى مع الميت، ويختلف المضمون من شخص لآخر تبع

النوع ذكر كان أم أنثى، والمرحلة العمرية ولابد أن يراعي المضمون الحالة التي مات عليها الفقيد، وهذا هو ما جاء في عديد من الموضوعات والمناسبات، حكاية المصريين هي حكاية كبيرة وعميقة، وعادات وتقاليد وقيم سامية لابد من ترسيخها وفهمها فهما جيدا من خلال قراءة نصوص العديد؛ رسالة يرسلها لنا فلا نتجاهلها بل نهتم بها ونحللها ونفسر مغاليقها، والعديد لا يزال إلى وقتنا هذا يكشف لنا عن طريق نصوصه حكمة ما لشعب ما وإذا أردنا أن نعرف تلك الحكمة واجب علينا قراءة المفهوم ومعرفة التحليل وما الغرض والدافع من قول نصوص العديد، هي من منظورين مختلفين، الأول نصوص حزينة تجلب للقلب ما تجلبه من حزن وغم وبكاء للعين، والمنظور الآخر هو معرفة المفاهيم والدلالات التي نستوردها من ألفاظ وكلمات العديد المختلفة.

وننفرد هنا ببعض الحديث عن أهم العادات والتقاليد والممارسات التي اعتادت عليه النساء في فعلها عندما تحضر جنازة لميت ما، ومن العادات التي تم رصدها ومشاهدتها بالقرب من جنازة الميت، هي أن النساء يبدأن باللطم على خدودهن وتقطيع ملابسهن وضرب صدورهن واطلاق صيحات متتالية وصراخ لا ينقطع، وبعض من النساء يقمن بوضع (الطين) على وجوهن وإذا لم يعثرن عليه يضعن مادة (الزهرة) وهي التي تُستعمل في غسيل الملابس البيضاء، وغالبية النساء من عاداتهن وتقاليدهن الذهاب للمقابر خلف الجنازة وهن حافيات بدون أحذية في أرجلهن.

وتبدأ الممارسات من عادات وتقاليد من جموع النساء التي تأتي لبيت الميت حين يتم اعلان خبر الوفاة، وعند الانتهاء من تغسيل وتكفين الميت وخروجه لتأدية صلاة الجنازة عليه تستمر النساء في الصراخ وقول بعض من النصوص، وأثناء خروج الجنازة من المسجد حتى وصولها للمقابر هنا تبدأ الممارسات الفعلية التي اعتدن النساء عليها وهي ما سبق ذكرها؛ والعديد بطقوسه وممارساته كثيرة ومتنوعة تختلف من منطقة لأخرى، فبعض النساء يقمن بتنفيذ الممارسات من البداية وحتى النهاية، وفي منطقة من المناطق تتمادى فترة الحزن وقد تصل إلى سنة تقريبا [٢]، ونستمر بذكر بعض من العادات والتقاليد التي يقمن النساء بحفظها وفعلها بالترتيب دون أن يخطئن، وهن في ذهابهن للمقابر إذا تواجدت امرأة ترتدي حذاء في رجليها تحدث بينها وبين باقي النساء خلافات حتى تخلع ما ترتديه أو ترجع أدراجها ولا تذهب معهن للمقابر؛ العديد مليء

٢) هنا اعتمدنا على الراوية " عزيزة عبد النبي السيد بنديري" بطاقة رقم ١ في ملحق رواة النصوص. (

بالكثير من العادات والتقاليد والممارسات، وأن كل جماعة في منطقة ما تلتزم بعاداتها وطقوسها دون أن تعتدي على تقاليد وممارسات أي منطقة من المناطق الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر الميدانية:-

١) الاسم: عزيزة عبد النبي السيد بنديري – اسم الشهرة: الحاجة عزيزة بنديري – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٨٠ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٢) الاسم: السيدة عبد الحميد خليل أبو الفضل – اسم الشهرة: سيادة – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٧٥ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٣) الاسم: واطفة عبد العزيز عبد المعطي غنيم – اسم الشهرة: أم ربيع – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٦٨ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٤) الاسم: عفاف محمد عامر – اسم الشهرة: أم هناء – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٦٣ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٥) الاسم: فتحية عبد الفتاح إبراهيم سلامة – اسم الشهرة: أم أسامة – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٢ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٦) الاسم: فكيهة السيد محمد زمزم – اسم الشهرة: أم سعيد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٥ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٧) الاسم: فتحية مصطفى عبد الله – اسم الشهرة: أم عصام – العمل: مغسلة (غسيل وتكفين الأموات) – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٥ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٨) الاسم: نادية عبد الفتاح إبراهيم سلامة – اسم الشهرة: أم سعيد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٥ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

٩) الاسم: نادية محمد رمضان يوسف – اسم الشهرة: أم جمال – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٨٠ سنة – محل الإقامة: قرية الصنافين، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

١٠) الاسم: آمنة محمد علي – اسم الشهرة: أم مجدي – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٨ سنة – محل الإقامة: قرية ميت سهيل، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

١١) الاسم: نجية محمد جوهري – اسم الشهرة: أم عزت – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٨٠ سنة – محل الإقامة: قرية ميت سهيل، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

١٢) الاسم: ميرفت السيد عبده – اسم الشهرة: أم أيمن – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٦٠ سنة – محل الإقامة: قرية ميت سهيل، مركز منيا القمح، محافظة الشرقية.

١٣) الاسم: عفت أبو المعاطي المكاوي عبد الكريم – اسم الشهرة: أم أحمد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٥٥ سنة – محل الإقامة: قرية أبو عريضة، مركز صان الحجر، محافظة الشرقية.

١٤) الاسم: غندر مهنا سليمان – اسم الشهرة: أم السيد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٦٢ سنة – محل الإقامة: قرية أبو عريضة، مركز صان الحجر، محافظة الشرقية.

١٥) الاسم: فاطمة محمد عامر – اسم الشهرة: أم محمد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٦٨ سنة – محل الإقامة: قرية أبو عريضة، مركز صان الحجر، محافظة الشرقية.

١٦) الاسم: فايزة جابرمحمد محمد – اسم الشهرة: أم محمد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٥٢ سنة – محل الإقامة: قرية أبو عريضة، مركز صان الحجر، محافظة الشرقية.

١٧) الاسم: فاطمة محمد جاد – اسم الشهرة: سومة – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: مطلقة – السن: ٦٥ سنة – محل الإقامة: قرية أبو عريضة، مركز صان الحجر، محافظة الشرقية.

١٨) الاسم: السيدة إبراهيم الحنفي – اسم الشهرة: أم أحمد – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٤ سنة – محل الإقامة: قرية الغرقدة، مركز الحسينية، محافظة الشرقية.

١٩) الاسم: ليلى عبد العال محمد شحاتة – اسم الشهرة: أم محمود – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٦٥ سنة – محل الإقامة: قرية الغرقدة، مركز الحسينية، محافظة الشرقية.

٢٠) الاسم: أمينة سليمان علي برعي – اسم الشهرة: أم عطوة – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٨٣ سنة – محل الإقامة: قرية الشرابنة، مركز الحسينية، محافظة الشرقية.

٢١) الاسم: فاطمة محمد إسماعيل خالد – اسم الشهرة: أم درار – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٨٠ سنة – محل الإقامة: قرية الغرقدة، مركز الحسينية، محافظة الشرقية.

٢٢) الاسم: زينب عطية أحمد إسماعيل – اسم الشهرة: الحاجة زينب – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٨٣ سنة – محل الإقامة: قرية الغرقدة، مركز الحسينية، محافظة الشرقية.

٢٣) الاسم: فوزية السيد طه – اسم الشهرة: أم هاني – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٦٩ سنة – قرية بني عامر، مركز الزقازيق، محافظة الشرقية.

٢٤) الاسم: فوزية عبود – اسم الشهرة: أم العربي – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٨٥ سنة – قرية بني عامر، مركز الزقازيق، محافظة الشرقية.

٢٥) الاسم: كريمة السيد حمزة – اسم الشهرة: أم إبراهيم – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٦٧ سنة – قرية بني عامر، مركز الزقازيق، محافظة الشرقية.

٢٦) الاسم: هنية يوسف عبد الكريم ربيع – اسم الشهرة: الحاجة هنية ربيع – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧٤ سنة – قرية طوخ، مركز أبو كبير، محافظة الشرقية.

٢٧) الاسم: سعادة محمد محمد شاهين – اسم الشهرة: الحاجة سعادة شاهين – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٩٢ سنة – قرية طوخ، مركز أبو كبير، محافظة الشرقية.

٢٨) الاسم: زينب يوسف عبد الكريم ربيع – اسم الشهرة: الحاجة زينب ربيع – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٧١ سنة – قرية طوخ، مركز أبو كبير، محافظة الشرقية.

٢٩) الاسم: فتوح حسين سليم – اسم الشهرة: الحاجة توحة – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: أرملة – السن: ٩٠ سنة – قرية أم عجرم، مركز فاقوس، محافظة الشرقية.

٣٠) الاسم: نعمة الصاوي إبراهيم – اسم الشهرة: الحاجة نعمة الصاوي – العمل: ربة منزل – الحالة الاجتماعية: متزوجة – السن: ٧٨ سنة – قرية أم عجرم، مركز فاقوس، محافظة الشرقية.

ثالثًا: الكتب والمؤلفات:-

١) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٨٤.

٢) ابراهيم شعلان، موسوعة الأمثال الشعبية المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.

٣) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصريّة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣م.

٤) أحمد توفيق، فنون الوداع، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٦م.

*أغنيات الفراق تراث الحزن في صعيد مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٧١،٣م.

٦) أحمد لطفي السيد، قبائل العرب في مصر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧) أحمد مرسي، دراسة حول كتاب يان فانسينا، المأثورات الشفاهية،دار الثقافة للطبع والنشر ١٩٨١.

*الأغنية الشعبية، مدخل إلى دراستها، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.

* مقدمة في الفولكلور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

٨) أشرف البولاقي،أشكال وتجليات العَدُّودة في صعيد مصر (دراسات شعبية)، دار وعد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م.

٩) درويش الأسيوطي، أشكال العديد في صعيد مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٠) الشرقية وسيناء، بحث منشور، منطقة الزقازيق التعليمية،١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.

١١) صفوت كمال، الأمثال الكويتية المقارنة ، الكويت، ط١، ١٩٧٨.

*استبيانات العمل الميداني – الفخار – مجلة الفنون الشعبية، العدد٢٣ يونيه، ١٩٨٨.

* مدخل لدر اسة الفولكلور الكويتي، الكويت، ط٢، ١٩٧٣.

١٢) عبد الحليم حفني، المراثي الشعبي(العديد)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٢، القاهرة، ١٩٩٧.

١٣) علي حلمي، الدليل لعمد ومشايخ البلاد، ط٢، مطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٥م.

١٤) علي فهمي، احتفالية الموالد في مصر، مجلة الفنون الشعبية، العدد١٠٠، يناير – ديسمبر ٢٠١٥م.

١٥) عمرو عبد العزيز، الشرقية بين التاريخ والفولكلور، تقديم د. كارم محمود عزيز، دار الإسلام للطبع والنشر، ٢٠٠٥م.

١٦) غريب محمد علي، ألوان من التراث الشعبي في صعيد مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.

١٧) عبدالرحمن الجبرتي، المختار من تاريخ الجبرتي(سلسلة روائع التراث)،مكتبة الأسرة،١٩٩٥-١٩٩٦م.

١٨) فارس خضر، ميراث الأسى، تصورات الموت في الوعي الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١٩) فاروق خورشيد، فى الرواية العربية عصر التجميع، دار الشروق، لبنان، ١٩٨٠.

٢٠) فتحي عبد الهادي الصنفاوي – التراث الغنائي المصري – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٨.

٢١) كامل حامد مغيث، مصر في العصر العثماني(١٥١٧-١٧٩٨م)، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٢) محمد إبراهيم بكر، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، دار المعارف، القاهرة.

٢٣) محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزء الأول، دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.

٢٤) محمد الجوهري، موسوعة التراث الشعبي العربي، المجلد الرابع (الأدب الشَعبي)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

٢٥) محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد، الجزء الأول، القسم الأول، ١٩٥٥م.

٢٦) محمد شحاتة العمدة، أغاني النساء في صعيد مص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤.

٢٧) محمد عبد السلام إبراهيم، الإنجاب والمأثورات الشعبية، دارعين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط١، ١٩٩٦.

٢٨) محمود أحمد فضل،العديد في أسوان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، القاهرة، ٢٠١٥م.

٢٩) محمود الشرقاوي، مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الأنجلو مصرية، ١٩٦٥.

٣٠) مرسي السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، مركز نهر النيل للنشر والتوزيع، الزقازيق، ط١، ٢٠١٩م.

* لهجة أهل الزقازيق قراءة لغوية (وصفية تحليلية) في نصوص الأدب الشعبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٢٠.

٣١) نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

*قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣.

٣٢) نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.

٣٣) هاشم محمد هاشم الكومي، دور البيت وعمارته في ثنائية سلطة المرأة والرجل في العَدُّودة المصرية، ضمن بحوث الكتاب الجماعي بعنوان خطاب العمارة كلمات ورموز، الطبعة الأولى، نشر دار ألفا للوثائق والنشر، الجزائر،٢٠٢٠م.

*التشكيل السينمائي للعَدُّودة المصرية العَدُّودة من منظور سينمائي، الطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٨م.

*المكان وابعاده النفسية والاجتماعية في فن العديد البيت والقبر أنموذجا، الطبعة الاولى، اصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة، مشروع النشر الإقليمي، ثقافة قنا،٢٠١٤م.

*إيقاع الحدث في العَدُّودة المصرية، الطبعة الاولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠٢٠م.

رابعًا: المصادر الأجنبية:-

١) يان فانسينا، المأثورات الشفاهية، ترجمة الدكتور أحمد مرسي، دار الثقافة للطبع والنشر، ١٩٨١م.

خامسًا: الدوريات العلمية والوثائق والنشرات:-

١) مرسي الصباغ، استبيان القصص الشعبي، مركز بحوث التراث والحضارة، جامعة قناة السويس.

٢) صفوت كمال، استبيانات العمل الميداني - الفخار – مجلة الفنون الشعبية، العدد٢٣ يونيه، ١٩٨٨م.

٣) صفوت كمال، المأثورات الشعبية، مقال بمجلة الثقافة، العدد١٣، القاهرة، م١١٩٦٣.

٤) محمود فرغلي، العَدُّودة المصرية وسؤال النوع، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد٤٦، ٢٠١٩م.

٥) كتاب، الشرقية٢٠٠٨، دار الكتب العامة، الزقازيق.

٦) محافظة الشرقية، الجهاز المركز للتعبئة العامة والإحصاء، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

٧) محافظة الشرقية، العلاقات العامة، دار الكتب العامة، الزقازيق، سبتمبر ١٩٩١م.

٨) محافظة الشرقية، دار الكتب العامة، الزقازيق، ١٩٩١م.

٩) مركز أعلام الشرقية، الشرقية في عيدها القومي، ١٩٨٨م.

سادسًا: الرسائل العلمية:-

١) حنان أحمد خليل، الموت في الشعر العباسي،رسالة ماجستير،جامعة النجّاح الوطنية،فلسطين،٢٠٠٣م.

٢) عمر ماهر محمد عودة، البكائيات في الأدب الشعبي الفلسطيني، رسالة ماجستير، جامعة النجّاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ٢٠٠٨م.

٣) غريب عبد الغني أحمد السيد، عمد ومشايخ القرى في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، ١٩٩٠م.

٤) فهيمه عبد الله خليل، جغرافية الغذاء في محافظة الشرقية، رسالة دكتوراة، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م.

٥) مرسي السيد مرسي،الموال في مركز الزقازيق،دراسة ميدانية وفنية، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ١٩٨٧م.

٦) مرسي السيد مرسي الصباغ، القصة والحكاية والحدوتة الشعبية في محافظة الشرقية(دراسة ميدانية وفنية)، رسالة دكتوراة، جامعة الزقازيق، ١٩٩١م.

سابعًا: المراجع الإلكترونية:-

١) حميد ناصر الجيلاوي، دراسة بمجلة التراث الشعبي، بعنوان(الندب) ذاك التراث الحزين بين الشعر والتقليد،١٩٧٤م.